

أبعد من الطب: خمس حقائق ستغير نظرتك إلى الإعاقة إلى الأبد

عندما نفكر في كلمة "إعاقة"، غالباً ما تذهب عقولنا مباشرة إلى الجانب الطبي أو الصحي. نتخيل العيادات، والعلاجات، والتحديات الجسدية. لكن ماذا لو كانت هذه النظرة قاصرة بشكل كبير؟ ماذا لو كان هناك "مكون اجتماعي" خفي، غالباً ما نتجاهله، وهو الأهم في تحديد نوعية حياة الأشخاص ذوي الإعاقة وهويتهم؟

في هذا المقال، سنغوص في أعماق الدلائل الإرشادية لمنظمة الصحة العالمية لنكشف عن أبرز الأفكار المدهشة والمؤثرة التي تعيد تعريف فهمنا للإعاقة، وتنتقل به من مجرد حالة صحية إلى قضية حقوق وكرامة ومشاركة إنسانية كاملة.

1. التأهيل ليس مجرد علاج طبي، بل هو مشاركة اجتماعية كاملة

في الماضي، كانت برامج التأهيل تركز بشكل شبه حصري على الصحة، متجاهلةً الاحتياجات الاجتماعية الأساسية للأشخاص ذوي الإعاقة. فبحسب الدلائل الإرشادية، كانت موضوعات مثل "العلاقات، والزواج، والأبوة أو الأمومة" تُعتبر "حساسية للغاية" بحيث لا يمكن مناقشتها، بينما كان الوصول إلى الثقافة والرياضة والعدالة يُنظر إليه على أنه "غير ضروري".

هذا التحول في الفهم يعد ثورياً، لأنه يعترف بأن المشاركة الفعالة في الحياة الاجتماعية لها "أثر قوي على تحديد هوية الشخص، واحترامه لذاته، ونوعية حياته". فالتأهيل الحقيقي لا يكتمل داخل عيادة، بل يتحقق في المجتمع، عندما يتمكن الفرد من بناء علاقات، وتكوين أسرة، والمساهمة في الأنشطة التي تمنح الحياة معناها.

2. السر ليس في "الإدماج" فقط، بل في امتلاك "أدوار اجتماعية" ذات قيمة

كثيراً ما نتحدث عن "الإدماج"، لكن الدلائل الإرشادية تقدم مفهوماً أعمق وأكثر تأثيراً: "الأدوار الاجتماعية". هذه الأدوار "هي المواقع التي يشغلها الأفراد في المجتمع والتي تتوافق بنشاطات ومسؤوليات معينة".

فكر في هذه الأمثلة المتنوعة التي يقدمها النص: الزوج، الأب، المدرس، المزارع، لاعب كرة القدم، الطباخ. عندما يشغل شخص ذو إعاقة دوراً اجتماعياً إيجابياً، فإنه لا يندمج فقط، بل يصبح عضواً ذا قيمة ومساهمات فاعلاً. هذا التغيير لا يؤثر على الفرد وحده، بل يغير نظرة المجتمع بأسره. وكما يوضح النص، "قد يكون الإدماج الناجح للطفل ذي الإعاقة في المدرسة أو اندماج شخص بالغ ذي إعاقة في العمل بمثابة وسيلة قوية لتغيير المواقف الاجتماعية تجاه الأشخاص ذوي الإعاقة". وبذلك، لا يصبح الشخص مجرد "موجود" في المجتمع، بل "مؤثر" فيه، وهذا هو الفرق الجوهرى بين الإدماج السطحي والمشاركة الفاعلة.

3. المساعدة الشخصية ليست رعاية، بل هي تمكين من اتخاذ القرار

المفهوم الشائع عن المساعدة الشخصية هو أنها تجعل الشخص "متلقياً سلبياً" للرعاية. لكن "حركة العيش باستقلالية"، التي يستند إليها النص، تقلب هذا المفهوم رأساً على عقب. فالمبدأ الأساسي ليس الرعاية، بل هو التحكم والسيطرة على قرارات الحياة الخاصة.

النص يوضح هذه الفكرة المحورية بشكل لا لبس فيه:

يُستخدم مصطلح "المساعدة الشخصية" من قبل حركة العيش المستقل للدلالة على الأنشطة المذكورة أعلاه فقط في حال كان لدى الفرد المستفيد القدرة على اتخاذ القرار فيما يتعلق بالمهام التي يمكن تفويضها للمساعد، وللمن يمكنه أن يفوضها، ومتى وكيف سيتم القيام بهذه المهام.

هذا التعريف ينقل الشخص من موقع التبعية إلى موقع القيادة في حياته. فالمساعدة الشخصية الحقيقية لا تمنح الشخص "خدمة" فحسب، بل تعيد إليه "سلطة" اتخاذ القرار على مسار حياته، مما يعزز كرامته واستقلالته بشكل جذري.

4. الجنسانية والزواج والأمومة هي حقوق إنسانية، وليست من المحرمات

من أكثر الصور النمطية إيذاءً هي تلك التي تنكر على الأشخاص ذوي الإعاقة حقهم في الحب وتكوين أسرة. يتصدى النص لهذه المفاهيم الخاطئة بشكل مباشر، مثل النظر إليهم على أنهم "عديمو النشاط الجنسي" أو الاعتقاد بأنهم "سوف ينجبون بشكل تلقائي أطفالاً ذوي إعاقة أيضاً".

لتوضيح هذه النقطة بقوة، تعرض الدلائل الإرشادية قصة ملهمة من مالوري لامرأة حاربت لتصبح أماً في وجه معارضة عائلتها ومجتمعها. وتلخص كلماتها جوهر هذه المعركة من أجل الكرامة الإنسانية:

"وكل ما يحتاج المرء إليه هو الشجاعة! لقد حسمت أمري وأصبحت قوية. واستناداً إلى تجربتي الشخصية، أيقنت أن الأمومة بالنسبة للنساء ذوات الإعاقة هي أمر غير مرغوب به بالنسبة لأفراد المجتمع الآخرين من غير ذوي الإعاقة. وما يتعين على الجميع معرفته هو أن قرار إنجاب طفل أو عدم إنجابه، أو تبني طفل، هو من حق ومسؤولية كل شخص بما في ذلك الأشخاص ذوي الإعاقة."

5. الفن ليس ترفيهاً، بل هو وسيلة آمنة لتحدي الصور النمطية

هل يمكن للفن أن يغير السياسات المصرفية؟ الإجابة هي نعم. توضح الدلائل الإرشادية كيف يمكن استخدام الفنون "لتحدي الممارسات التمييزية أو القمعية والتشكيك في صوابها" بطريقة غير عنيفة وآمنة.

ويأتي المثال الأكثر إدهاشاً من بنغلاديش في معرض فني بعنوان "الرؤية في الظلام". في هذا المعرض، تم إغراق المكان في ظلام دامس، وقام مرشدون مكفوفون بقيادة الزوار المبصرين عبر محاكاة للحياة اليومية في مدينة دكا. لم تكن هذه مجرد تجربة فنية، بل كانت أداة قوية للتغيير الاجتماعي. والنتيجة؟ "الحصول على تعهد من البنك المركزي في بنغلادش للنظر في مسألة الصعوبة التي يواجهها الأشخاص ذوو الإعاقات البصرية في التمييز بين الأوراق النقدية". لقد نجح المعرض لأنه لم "يشرح" المشكلة، بل جعل المسؤولين "يعيشونها" للحظات، وهو ما أثبت أن تجربة إنسانية واحدة أقوى من ألف تقرير.

خاتمة

إن التحول الذي تدعونا إليه هذه الحقائق واضح: يجب أن ننتقل من منظور طبي ضيق للإعاقة إلى فهم اجتماعي وإنساني واسع يركز على الحقوق والكرامة والمشاركة. الإعاقة ليست مجرد حالة يعيشها فرد، بل هي تفاعل بين هذا الفرد والمجتمع المليء بالحواز والمفاهيم الخاطئة.

بعد أن تعرفت على هذه الأبعاد الاجتماعية، ما هو الحاجز الأول الذي تعتقد أنه يجب علينا كسره في مجتمعنا لنطلق العنان لإمكانيات جميع أفرادنا؟